

خطبة

احفظ الله يحفظك

لفضيلة الشيخ

عثمان بن عبد الله السالمي

حضرته الله تعالى

اللقيت في مسجد الصديق بذمار

٢٠ جمادى الأولى ١٤٣٨

الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ أَنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِي اللَّهَ فَلَا مُضَلٌّ لَهُ وَمَنْ يَضْلِلُ فَلَا هَادِي لَهُ.

أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْأَحَدُ الصَّمْدُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ بَعْثَةَ اللَّهِ رَحْمَةً لِهَذِهِ الْأُمَّةِ بَشِيرًاً وَنَذِيرًاً وَمَعْلِمًا وَدَاعِيًّا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسَرَاجًاً مُنِيرًاً أَخْرَجَ اللَّهُ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ مِنْ ظُلُمَاتِ الشَّرِكِ إِلَى نُورِ التَّوْحِيدِ وَمِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهَلِ إِلَى نُورِ الْعِلْمِ فَصَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًاً أَمَّا بَعْدُ:

أَيّهَا الْمُسْلِمُونَ عِبَادُ اللَّهِ رَوَى بَعْضُ أَهْلِ السَّنَنِ وَأَحْمَدُ وَغَيْرُهُمْ^(١) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ لِهِ: وَهُوَ رَدِيفُهُ عَلَى دَابَّةٍ فَقَالَ: «يَا غَلامُ إِنِّي أُعْلَمُكَ كَلْمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ احْفَظُ اللَّهَ يَحْفَظُكَ احْفَظُ اللَّهَ تَجْدِهِ تَجَاهِكَ إِذَا سَأَلْتَ فَأَسْأَلُ اللَّهَ وَإِذَا أَسْتَعْنَتْ فَأَسْتَعِنُ بِاللَّهِ، وَاعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَقَّتِ الصَّحْفُ» رَوَاهُ التَّرمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثُ حَسْنٍ صَحِيحٌ.

فَانظُرْ إِلَى هَذَا التَّعْلِيمِ النَّبُوِيِّ الْعَظِيمِ أَعْطَى اللَّهُ نَبِيَّهُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَهُوَ يُعْلَمُ الشَّابُ الْمُؤْمِنُ الْعَقِيدَةُ الصَّحِيحَةُ وَيَوْجِهُ إِلَى طَرِيقِ النَّجَاهَةِ وَإِلَى طَرِيقِ حَفْظِ اللَّهِ لَهُ فَنَحْنُ أَيْضًا بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ

(١) الترمذى [٢٥١٦] وأحمد [١٨/٥][٢٨٠٣] والطبرانى [١٩٨٨/١٣][١٣٨/١٣] وقال الحافظ ابن رجب في "جامع العلوم والحكمة" في الحديث [١٩]: وقد روى هذا الحديث عن أبا عباس من طرق كثيرة من روایة ابنه علي ومولاه عكرمة وعطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار وعبد الله بن عبد الله وعمر مولى غفرة وابن أبي مليكة وغيرهم. انتهى المراد.

أن نعلم شبابنا وبناتنا بل وأنفسنا ومجتمعنا على أن نعرف الطريق المنجية من الهاك من هلاك الدنيا وهلاك الآخرة وخاصةً في مثل هذه الأزمان والأوقات المحرجة التي حصل فيها من البلاء وحصل فيها من الشر والمصائب التي عمّت كثيراً من بلاد الإسلام ومن مجتمعاته فهذه المآذق والمضائق والمحن لا تُرفع إلا بالرجوع إلى الله والاعتماد عليه وعمل الأسباب التي تكون سبباً في أن يحفظك الله من الزلل يحفظك الله من المعاصي يحفظك الله أن تتهاو فتقُتل مسلماً بغير حق أو ترتكب فاحشةً أو تأكل رباً أو تعمل منكراً فإذا حفظت شرع الله وحفظت حدوده فأبشر أن الله يحفظك «فالجزاء من جنس العمل» **﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾** [الإسراء: ٧] وقال جل وعلا: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ وَرُبُّتِتْ أَقْدَامَكُمْ﴾** [محمد: ٧] وقال: **﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُه﴾** [الحج: ٤٠] أي إذا نصرت شرع الله ودين الله نصرك الله على نفسك من الهوى تتغلب على نفسك فأعظم عدو ملازم لك نفسك الأمارة بالسوء، والشيطان يعيّن نفسك على الهوى ثم العدو الآخر الكُفّار أعداء آخرون فإذا كنت لا تستطيع أن تجاهد نفسك ما تستطيع أن تجاهد العدو الآخر فلهذا قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- **«الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ»**^(١) الله أكبر، المجاهد الحقيقي القوي من جاهد نفسه لأن المعارك قد تستمر شهر شهرين ثلاثة وتنتهي بفضل الله لكن أنت في معركة مع هوى نفسك ومعارك مع الشيطان ومعارك مع شهوات الدنيا مستمرة إلى أن تموت فإذا كنت قوي العزم قوي الإيمان قوي الإرادة تستطيع تتحكّم على نفسك وهواك وتتغلب على عدوك الشيطان فتستمر في طاعة الله، إذاً فيحفظك الله من كثير من الزلل بل

(١) قطعة من حديث فضالة بن عبيد - رضي الله عنه - ورواه الإمام أحمد [٣٨١/٣٩] طبعة الرسالة وهو صحيح قوله شواهد.

يحفظك من المحن والفتنة، قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٦٨].

"احفظ الله يحفظك" إذا حفظت دين الله تصير من المتّقين فإذا كنت من المتّقين كان الله معك بحفظه وكلئه ونصره وتأييده، قال الله: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَاةِ وَالصَّلَاةُ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ○ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ [المعارج: ٣٤-٣٥] لـما حافظ على صلاتـه صار من أهل الجنة. تحافظ على بصرك لا تنظر إلى الحرام: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكِ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقال: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.. إلى قوله: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ ثم قال: ﴿وَالذَاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَاكِرَاتِ أَعَدَ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

فالذى يحفظ شرع الله يحفظ نفسه من الزلل والإثم والفحشـ، يحفظه الله وأعظم ما يحفظه
ألا تقع في المعصية والجـرم هذه أعظم كـرامـة لكـ، فانظر كـيف يـمتـن اللهـ على نـبـيهـ يوسفـ -
عليـهـ الصـلاـةـ وـالـسـلامـ - وـقدـ رـاـوـتـهـ إـمـرـأـةـ عـظـيمـةـ جـمـيلـةـ مـهـيـأـةـ فـيـ دـارـ مـلـكـ ﴿قـالـتـ هـيـتـ لـكـ﴾
﴿وَلَقَدْ هـمـتـ بـهـ وـهـمـ بـهاـ لـوـلـاـ أـنـ رـأـىـ بـرـهـانـ رـبـهـ﴾ [يوسف: ٢٤].

فلـمـا رـأـىـ بـرـهـانـ رـبـهـ لـمـاـ هـمـ؛ عـصـمـهـ اللهـ عـزـ وـجلـ. قـيلـ رـأـىـ شـيـئـاـ فـيـهـ مـوعـظـةـ لـهـ ﴿كـذـلـكـ لـيـتـصـرـفـ
عـنـهـ السـوءـ وـالـفـحـشـاءـ إـنـهـ مـنـ عـبـادـنـاـ الـمـخـلـصـينـ﴾ [يوسف: ٢٤].

فبالإخلاص والمراقبة لله عز وجل يحفظك الله وإذا فرطت في حق الله وتهورت فإنه يخذلك - والعياذ بالله - ويوكلك إلى نفسك وإلى الشيطان فمن صدق مع الله وحفظ شرع الله حفظه الله، قد يقول قائل ذاك نبي نعم هو نبي معصوم ولكن الأنبياء هم أعبد الناس وأفضل الناس وهم معصومون فلهذا كانوا يحافظون على أخلاقهم العالية وعلى دينهم فحفظهم الله.

ومن الصالحين من يحفظه الله من الزلل، كما عند الإمام الترمذى^(١) بسند يحسنه الألباني عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: كَانَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: مَرْثُدُ بْنُ أَبِي مَرْثُدٍ، وَكَانَ رَجُلًا يَحْمِلُ الْأَسْرَى مِنْ مَكَّةَ حَتَّى يَأْتِيَ بِهِمُ الْمَدِينَةَ، قَالَ: وَكَانَتْ امْرَأَةٌ بَغِيَّ بِمَكَّةَ يُقَالُ لَهَا: عَنَاقٌ وَكَانَتْ صَدِيقَةً لَهُ، وَإِنَّهُ كَانَ وَعَدَ رَجُلًا مِنْ أَسَارَى مَكَّةَ يَحْمِلُهُ، قَالَ: فَجِئْتُ حَتَّى انتهيتُ إِلَى ظِلِّ حَائِطٍ مِنْ حَوَائِطِ مَكَّةَ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ، قَالَ: فَجَاءَتْ عَنَاقٌ فَأَبْصَرَتْ سَوَادَ ظِلِّيَّ بِجَنْبِ الْحَائِطِ فَلَمَّا انتهيتُ إِلَيْيَ عَرَفْتُ، فَقَالَتْ: مَرْثُدٌ؟ فَقُلْتُ: مَرْثُدٌ. فَقَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا هَلْمَ فَبِتْ عِنْدَنَا اللَّيْلَةَ. قَالَ: قُلْتُ: يَا عَنَاقُ حَرَمَ اللَّهُ الزَّنَا، قَالَتْ: يَا أَهْلَ الْخِيَامِ، هَذَا الرَّجُلُ يَحْمِلُ أُسَرَاءَكُمْ، قَالَ: فَتَبَعَنِي ثَمَانِيَّةً وَسَلَكْتُ الْخَنْدَمَةَ فَانْتَهَيْتُ إِلَى كَهْفٍ أَوْ غَارٍ فَدَخَلْتُ، فَجَاءُوا حَتَّى قَامُوا عَلَى رَأْسِي فَبَالُوا فَظَلَّ بَوْلُهُمْ عَلَى رَأْسِي وَعَمَّاهُمُ اللَّهُ عَنِّي، قَالَ: ثُمَّ رَجَعُوا وَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي فَحَمَلْتُهُ وَكَانَ رَجُلًا ثَقِيلًا حَتَّى انتهيتُ إِلَى الإِذْخِرِ، فَفَكَكْتُ عَنْهُ أَكْبُلَهُ فَجَعَلْتُ أَحْمِلُهُ وَيُعِينِي حَتَّى قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْكِحْ عَنَاقًا؟ فَأَمْسَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَرُدْ عَلَيَّ شَيْئًا حَتَّى نَزَلتْ: **﴿الرَّازِ尼ٌ لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالرَّازِنِيَّةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكًا﴾** [النور: ٣]، فَقَالَ

(١) رواه الترمذى في سننه [٣١٧٧] [تفسير سورة النور] وسنده حسن.

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مَرْثُدُ الرَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالرَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكًا، فَلَا تَنْكِحُهَا».

فالرّجل حين يكون عنده إرادة قوية وعزم وحفظ لحدود الله يحفظه الله من الفجور ثم حفظه الله أيضاً من العدو لم يسلط عليه الكفارة والشركاء بل هم فوق رأسه فوق كهفٍ صغير ولم يفطنوا أن ينظروا تحت الحجر والصخرة فهذا من حفظ الله فنحن بحاجة أن نحفظ ديننا ليحفظنا الله عز وجل من الزّلل والمحن «احفظ الله يحفظك» كلمة عظيمة من في رسول الله-صلى الله عليه وسلم- لشاب من أهله «احفظ الله يحفظك» احفظ سمعك من الغباء ومن أن تستمع باطلأ، قال الله: ﴿إِنَّ السَّمَعَ وَالبَصَرَ وَالْقُوَادُ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾ [الإسراء: ٣٦]

احفظ بصرك كما جاء عن ابن مسعود: "احفظ الرأس وما حوى والبطن وما حوى" فتحفظ رأسك وما فيه من آلات النفع من سمع وبصر ولسان قال النبي-صلى الله عليه وسلم:- «من يضمن لي ما بين لحييه وفخذيه أضمن له الجنة» رواه البخاري عن سهل بن سعد - رضي الله عنه -.

إذا حفظت لسانك من الباطل وفمك من أكل الحرام وحفظت بطنك من أكل الحرام، ومن أكل الرشوة، ومن أكل الربا، ومن أكل الغش ومن أكل الخديعة كُنْ مُحَافِظًا على نفسك، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ طُلْمَاءٰ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠] هذا ما حفظ نفسه في الآخرة سيأكل نار، فأنت تحفظ رأسك من الأفكار الباطلة وتحفظ قلبك من الأفكار المنحرفة والعقائد الفاسدة فانتبه لنفسك كُنْ على ما كان عليه النبي-صلى الله عليه وسلم-

وأصحابه الكرام وسلف الأمة فنحن إذا حفظنا شرعنَا فأبشروا بالخير الخارج تأتیکم بإذن الله وإن حصل من البلاء ما حصل فالأمر يسير أنت تrepid الفرج في يوم وليلة؟ الله قد يختبرك بالفقر هل ستصبر يبتليک بحار السوء يبتليک بخصم مؤذن يبتليک ويبتليک فتحتاج أن تصبر السنة والستين والثلاث والأربع والعشر والعشرين حتى تلقى الله ﷺ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ [العنکبوت: ٣-١] أفحسب الناس أن يتركوا هملاً ولا يبتلون في دينهم ودنياهم، وهذا في هذه السورة في سورة العنکبوت ذكر الله قصة نوح: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾** [العنکبوت: ١٤] والمناسبة في ذكر قصة نوح عليه السلام هي طول الابلاء، يعني بعض الأحيان يبتليک الله بطول الزمان لينظر هل ستصبر أم أنك تنحرف بجوعة يوم بعرى، بسخرية من شخص، تطيش أفكارك وتعامل جارك بما لا يستحق يبتليک الله، السنين والثلاث لينظر ستصبر وتحفظ دينك أم لا، فنوح يسخر منه قوله كم سنين؟ هذه السنين الطويلة من عند أن قال لهم: «**قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا**» بدأوا يسخرون منه كلما مرّ عليه جماعة من أمهاته ومن قومه سخروا منه **﴿قَالَ إِنَّ تَسْخَرُوا مِنَنَا فَإِنَا نَسْخُرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾** [هود: ٣٨].

وفي الأخير دعوة واحدة أهلك الله بها جميع المشركين **﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّي لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾** [نوح: ٢٦] فأغرقهم جميعاً كما تعرفون ونجاه الله ومن معه كما قال: **﴿وَنَوَّحَا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلٍ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَتَبَّغَّنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾** **﴿وَنَصَرَنَا مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾** [الأنبياء: ٧٦-٧٧] فانظر كيف نصره على قومه أهلكهم ونجاه من المشركين وظلمتهم وكان في كرب عظيم سنين طويلة، فلا تستعجل بالفرج أهم شيء أن تأمل من الله

الفرج ويكون عندك رجاءً عظيم فالرجاء العظيم في قلبك وفي عزتك ونیتک هذا من أعظم أسباب الفرج فظن بالله ظناً حسناً فقد قال: - عليه الصلاة والسلام - قال الله: في الحديث القدسي «أَنَا عِنْدَ ظُنْنِ عَبْدِيِّ بِي فَلِيَظْنَ بِمَا شَاءَ» وهكذا كان ظن الصحابة - رضي الله عنهم - فاقرءوا سورة الأحزاب كيف نزل بهم البلاء فلما اشتد بهم الكرب قال الله عنهم: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْخَنَاجِرَ وَتَطْنَوْنَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ ﴿هُنَالِكَ ابْتُلَى الْمُؤْمِنُونَ وَرُلِزِلُوا زِلْزاً شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠-١١] فالمนาقوسون ماذا قالوا والعياذ بالله؟ ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢] فالذي ما عنده دين ما يأمل من الله الفرج والمخرج ولا يأمل من الله سعة رزق ولا سيأتي أمن واستقرار، ما عندهم هذا، لكن أهل الإيمان: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤] فجعل الله لهم فرجاً: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] إذاً المؤمن يكون عنده أمل بالله حسن وإن تکالب اليهود والنصارى وغيرهم من المجرمين على المسلمين فلا شك أن الله يُبقي لهذه الأمة بقايا على الخير فأنت لا تظن لو ضاق عليك البيت ما في أُرْزِ ما في كذا لا تُقل خلاص سنموت لا، إقبال على الله واستعن بالله ، وانظر إلى مريم - عليها السلام - إمرأة مقبلة على الله مُتحجّبة عفيفة طيبة كيف جعل الله لها رزقاً يأتيها إلى بيتها إلى قعر دارها ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا يَا مَرِيْمُ أَنِّي لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧] وابتليت بعد ذلك بغلام من غير زوج أبتليت بلاء عظيماً صاقت بها الأرض بما رحبت فجعل الله لها مخرجاً وفرجاً: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ التَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِثُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾ [مريم]

٢٣-٢٤] الله أكبر- الصالحون ابتلوا بأنواع البلاء امرأة تلد تحت شجرة لا طعام ولا شراب لا أنيس حتى فارقت أهلها فالله معها حافظ لها لكثره عبادتها **(احفظ الله يحفظك)** فلم يتركها ربها عز وجل: **﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْرَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيرًا﴾** [مریم: ٢٤] **﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾** لما ولدت ناداها الغلام الصغير الذي لم يتكلم مثله، **﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْرَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيرًا﴾** [مریم: ٢٤] قيل السريري هو: "ماء يجري من تحتها جعل الله نهرًا في الحال ثم يقول لها: **﴿وَهُنَّى إِلَيْكِ بِجَذْعِ النَّخْلَةِ تُساقِطُ عَلَيْكِ رُطْبًا جَنِينًا﴾** [مریم: ٢٥] امرأة والدة لا تستطيع أن تحرك ربيماً غصناً صغيراً فكيف ببنخلة عظيمة بمجرد أنلامستها وهزّتها قليلاً فإذا بالرطب الطيب ينزل عليها فـيأتيها الخير والفرج من المأكل والمشرب ويأنسها ولدها ويتكلّم معها بعد ولادتها فإذا بها تمرّ على اليهود المتّهمين لها فإذا هي تشير إليه لا تكلّمهم فينطق **﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ○ وَجَعَلَنِي مُبَارَّكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾** [مریم: ٣١-٣٠] فيا عباد الله لا تيأسوا من فضل الله ورحمته فإنه سبحانه وتعالى رحيم بأوليائه وعباده **﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾** [الأعراف: ٧٦].

فأحسنوا لأنفسكم بطاعة ربكم وأحسنوا إلى جيرانكم وقرائكم وأيتامكم وأراملكم يحسن الله إليكم **«ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»** **«الرحمة يرحمهم الرحمن»**^١ فنحن بحاجة أن نكون كما سمعتم محافظين على جميع شريعتنا لا نأخذ جزءاً منها

(١) رواه الترمذی [١٩٦٤] بلفظ: **«الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض»** وسنه فيه أبو قابوس مقبول كما في التقریب وله شواهد منها **«من لا يرحم الناس لا يرحمه الله»** متفق عليه. وقال الشیخ الألبانی (صحيح) كما في **«الصحيحة»** [٩٤٥].

ونترك الأخرى فالقصص في القرآن تزيد أهل الإيمان إيماناً وأهل الشبات ثباتاً فما أحوج الناس أن يتدبّروا كتاب ربهم ويقرؤوا سنة رسولهم - عليه الصلاة والسلام - وفيها من العبر الشيءُ الكثير لا تظن أن الله سيتركك وأنت عبده وإن مُت في هذه الحال فأنت من الْكُرْماء عند الله، ذكر الإمام المَرْيَ واختصره الإمام ابن حجر في تهذيب التهذيب لترجمة عبد الرحمن بن أبي نعيم الكوفي رحمه الله كان من العُبَاد وأهل العلم والفضل فابتلي أن دخل على الحجّاج والحجّاج الظالم قد قتل أمّاً وسُمِّيت أيام الجمامـ لأنـه قد قـتل أمـةً من الأمـم من أـهل الإسلام - للأسـف - فـوعـظه فـكـأنـه قالـ لهـ: (اتـقـ اللهـ ياـ حـجـاجـ اـتقـ اللهـ قـتـلـ أـهـلـ الإـسـلامـ) فإذا بالـحجـاجـ يـأـمـرـ بـهـ لـلـحـبـسـ وـقـالـ سـُـدـوـاـ عـلـيـهـ الـبـابـ بـدـوـنـ طـعـامـ وـشـرـابـ فـأـغـلـقـ عـلـيـهـ خـمـسـةـ عـشـرـ يـوـمـاـ - اللهـ أـكـبـرـ - ثمـ بـعـدـ الـخـمـسـةـ عـشـرـ الـيـوـمـ قـالـ الـحجـاجـ اـذـهـبـواـ فـادـفـنـواـ هـذـاـ الرـجـلـ فـفـتـحـوـاـ بـابـ الـغـرـفـةـ إـذـاـ الرـجـلـ قـائـمـ يـصـلـيـ - اللهـ أـكـبـرـ - قـائـمـ يـصـلـيـ «احـفـظـ اللهـ يـحـفـظـكـ». فـقـالـ

الـحجـاجـ مـعـ ظـلـمـهـ سـِـرـ حـيـثـ شـئـتـ تـرـكـهـ» وـعـلـمـ أـنـ اللهـ حـفـظـهـ.

فالـعـبـرـ فيـ تـارـيـخـناـ كـثـيرـةـ فـنـحنـ نـحـتـاجـ أـنـ نـتـعـلـمـ الـدـيـنـ الـذـيـ يـنـفـعـنـاـ اللهـ بـهـ. وـاسـتـغـفـرـوـاـ اللهـ

الـعـظـيمـ.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً مباركاً فيه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - تسلیماً كثيراً - أما بعد:

أيها الناس - عباد الله - قال الله عز وجل عن عبدِ كريم من عباده كان من أنبيائه والقائمين بأمره ابتلاه الله عز وجل بأميةٍ كفرت وعاندت "يونس عليه الصلاة والسلام" يونس ابن متى ولقب بذى النّون هذا النبي الكريم دعا قومه وحاول سنين وهم يسخرون منه ويؤذونه.

فدعوا عليهم أَنَّ اللَّهَ يهلكهم فجاء الخبر من عند ربه - جَلَّ وَعَلا - مهلتهم ثلاثة أيام إن لم يتوبوا يأتیهم الھلاک فخرج مُغاضبًا لقومه غضبان عليهم ثم سافر فقومه لما علموا خروجه من وسطهم تابوا إلى الله ففرزوا إلى الله فخرجوها وأولادهم، وما عندهم من المواشي إلى الصحراء يبکون ويتضرّعون إلى الله وعلموا أنه کلام نبی ما يخالف الحق ما يخالف الواقع سیأتيکم بعد ثلاثة أيام هلاک ففرزوا إلى الله قال الله: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةً آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونَسٌ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْرِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨].

الله أكبر التوبة حتى من الشرك والکفر تنفع صاحبها إذا تاب وهو في صحة وعافية قبل الغريرة وتاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها ينفعه الله بها فهذه الأمة أسلمت ودعت الله أن يرفع عنها العذاب والبلاء فرفعه الله جَلَّ وَعَلا هذا أمر، المحنۃ الثانية على يونس-عليه الصلاة والسلام- خرج إلى البحر كما هو معلوم في القرآن فركب السفينة فلما وسّطوا في البحر وقفت السفينة بأمر خالقها جَلَّ وَعَلا فاستهموا قالوا "ثقلت السفينة لابد من شخص نرمي به البحر حتى تخف السفينة وإلا سنهلك جميعاً" فاستهموا فوقع القرعة على خيرهم يونس-عليه الصلاة والسلام- أراد الله عز وجل أن يبتليه بسبب أنه غاضب قومه ترك الدعوة إلى الله - الله المستعان - فأدبه ربه وابتلي بهذا الابلاء فاستهموا ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدَحَّضِينَ﴾ [الصفات: ١٤١] معناه من المغلوبين فرمي به في البحر بأمر الله جَلَّ وَعَلا القدری ثم التقمه حوت - عظيم - وهذه محنۃ أخرى فبقي في الحوت أيامًا وربما شهورًا والعلم عند الله كم بقي حتى نخل جسمه وكاد جسمه أن يهلك ولكن من حفظ الله له أيضاً بسبب طاعته الأولى وعبادته الكثيرة وتوحیده لله عز وجل والدعوة إلى التوحيد ربنا جَلَّ وَعَلا لتمام عدله

لم يهمل ذلك أبداً فلم يزل يحفظه في بطن الحوت ولم يأذن للحوت بعصره معروف الحيوان كلما دخل في جوفه يعصره لكن الله حفظ هذا النبي الكريم ﴿فَسَاهَمْ فَكَانَ مِنَ الْمُدَحَّضِينَ فَالْتَّقَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤١-١٤٢] أي ملام على تركه الدعوة ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَيْحِينَ لَلَّبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ فَنَبَذَنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٥] الله أكبر ﴿وَأَنْبَتَنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينِ﴾ [الصافات: ١٤٦] انظر هذا الخبر العظيم والقصة العجيبة يخبر الله نبيه محمدًا لكي يخبر أمته بهذا النبي كان في بطن الحوت فقال كلمة التوحيد ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنَّ لَنْ تَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَا مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبية: ٨٧-٨٨].

بشرة للمؤمنين جميعاً إذا حصلت لهم مآزر أو مصائب عظام وهم من أهل التوحيد ومن أهل الطاعة فلا ييأسوا من رحمة الله وفضله فالله بهم رحيم ولو بلغ من البلاء ما بلغ فإنه لطيف بعباده جل جلاله فانظر هذا النبي جعل الله له فرجاً وهو في هذا المكان المظلم "ظلمات" بعضها فوق بعض " ولكن ربنا قادر على كل شيء- سبحانه وتعالى - هل هناك أزمة أكبر من أزمة يونس؟ ما نقول أزمة أكبر إلا ما يقاربها قصة إبراهيم عليه السلام، في دخوله النار ونجاه الله منهم، فانظر مجرد أنه اعترف وقال: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» الآن كلما اشتدت على بعض الناس الأمور صار يُغْنِي من المساء إلى نصف الليل وآخر من العصر متفرّج على الكرة واللهو واللعبة هل هذا سبب من أسباب الفرج؟ أنت تريد أن يحفظك الله وأنت كلما اشتدت عليك الأمور فررت من الله وهربت وشردت كما يشد البعير من صاحبه يا عبد الله أينك أين فكرك؟ أين محاسبتك لنفسك؟ أين التوبة؟ أين الرجوع؟ أين حفظ شرع

الله ليحفظك الله؟ هذا النبي وهو نبي يسبح الله في البحر «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» جاءه الفرج لا تیأس كل شيء على الله يسیر: **﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾** [الشرح: ٦-٥].

العُسر الواحد له يسران **﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَيِّحِينَ﴾** انظر فالتسبيح في حال الرّخاء والعبادة في حال الرّخاء تنفعك في حال الشّدة وتنفع أبنائك وربما أبناء أبنائك نعم ، فيونس ذكر الله عنه أنه كان من المسبحين قبل الشدة وفي حال الشدة أيضاً، فأنت تحاسب نفسك وتأمر أهلك بالصلاوة والعبادة والذكر و.و. والله ما يضيعك أبداً فكن حريصا لحفظ دين الله وتذكّر هذه القصة **﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَيِّحِينَ﴾** **﴿لَلَّيْثُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبَعَثُونَ﴾** [الصفات: ١٤٣]

[١٤٤] أي يوم القيمة ثم أخرجه إلى الأرض **﴿فَنَبَذَنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾** [الصفات: ١٤٥] الصحراء ساحل البحر لا بيوت لا قوم يستقبلونه ولا أهل ما عندهم علم ما في إلا الله فلما وصل إلى ساحل البحر جسمه ضعيف لا يستطيع المشي أنقذه الله بشجرة في الحال ينبتها **﴿وَأَنْبَتَنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينِ﴾** [الصفات: ١٤٦] قيل الشجرة من يقطين هي: "أرضية كالدباء ونحوها" ولا مانع أن تكون كبيرة كبرها الله فتكون مظللة عليه حتى لا يهلك من الشمس فأكل من هذه الشجرة حتى قوي جسمه ثم رجع إلى قومه داعياً **﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾** **﴿فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينِ﴾** [الصفات: ١٤٨-١٤٧]

الله أكبر قرّ عينه أيضا بالإيمان أن آمن قومه وأصحابه وصار في سرور لكن بعد شدة وأزمة كبيرة فعلينا أن نلجأ إلى الله ونرجع إليه فنحفظ ديننا ونحفظ أبصارنا نحفظ عقولنا من الأفكار المدّامة نتوب إلى الله من جميع ذنوبنا.

فنسأله تعالى أن يتوب علينا وعليكم وأن يرحمنا وإياكم اللهم إنا نسألك المدى والتقى
والعفاف والغنى اللهم ارفع عنا الغلاء والوباء والرّباء اللهم إنا نسألك أن تهدينا سبل السلام
وأن تعينا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك إنك سميع الدعاء والحمد لله رب العالمين - وأقم
الصلوة.